

سورية وإسرائيل: من الحرب إلى صناعة السلام*

تأليف: موشيه معوز

ترجمة: لينا وهيب

عمان: دار الجليل، 1998. 262 صفحة.

يرصد هذا الكتاب أحداثاً مهمة ويكشف عن معلومات ظلت في طي الكتمان زمناً طويلاً. والمؤلف، موشيه معوز، مستشرق إسرائيلي معروف درس اللغة العربية وتاريخ الشرق الأوسط، وهو أستاذ مادة "تاريخ الشرق الأوسط المعاصر"، ومدير معهد ترومان لأبحاث تعزيز السلام في الجامعة العبرية في القدس. وهو أديب وداعية للسلام، وقد تقلد عدة مناصب قيادية. وله عدة مؤلفات عن القضية الفلسطينية. وفي كتابه هذا، استطاع المؤلف أن يستعيد أحداث سنين طويلة خلت. إذ استنطق التاريخ واستحضر الجغرافيا ليثير ذكريات لدى معاصري تلك الفترة، وليضع معلومات كثيرة جديدة أمام الراغبين في المعرفة وفي الاطلاع على خبايا السياسة. يؤكد المؤلف حقائق أحادية الجانب، أي الرواية الإسرائيلية التي تتناول الاتصالات "السرية" الإسرائيلية - السورية عبر أنظمة الانقلابات المتتالية. هذه الاتصالات، التي كانت تعتبر في حينها ضرباً من الخيانة، تفضي إلى استنتاجات واضحة هي أن سورية كانت ترغب في السلام منذ وقت مبكر. ويعترف المؤلف بأن قادة إسرائيل تعاملوا مع هذه الرغبة، من منطق غطرسة القوة، باستخفاف.

إن قراءة متعمقة لهذا الكتاب تقودنا إلى استنتاجات مهمة:

أولاً: الكشف أول مرة عن اتصالات مبكرة جرت بين مسؤولين سوريين ومسؤولين إسرائيليين. وعلى الرغم من أكاديمية المؤلف واعتداله، فإنه يجب التعامل بحذر مع هذه المعلومات التي يكشف عنها. إذ إنها تظل "رواية" إسرائيلية، لم نجد رواية سورية في مقابلها تنفيها أو تصححها.

ثانياً: إن العروض التي قدمتها سورية - إن صحت رواية المؤلف - لم تكن متشددة، وإنما كانت في رأي المؤلف، المصنف في خانة "الحماة"، فرصاً ثمينة لم

* Syria and Israel: From War to Peace Negotiations.

تنتهزها القيادة الإسرائيلية. ويرجع المؤلف هذا الموقف الإسرائيلي إلى الشكوك الراسخة في ذهن الإسرائيلي إزاء الأنظمة العربية "الدكتاتورية"، التي يصعب عقد اتفاقات سلام معها. ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الرفض الإسرائيلي، المصحوب بالصلف، جاء حتى قبل الانتصار التاريخي الذي حقته إسرائيل على الجيوش العربية في حرب حزيران/ يونيو 1967، أي قبل أن تصاب بجنون العظمة، وتصل بها غطرسة القوة إلى مداها!

ثالثاً: إن محاولات إيجاد توازن استراتيجي بين سورية وإسرائيل - وهو شعار رفعته القيادة السورية في وقت من الأوقات - أمر عصي على التحقيق. فإسرائيل لن تسمح لأي طرف عربي بأن يخلق بها أو يواكبها. وجاءت المتغيرات الدولية والإقليمية بعد ذلك لتؤكد صحة هذا الاستنتاج.

ويرى المؤلف أن الصراع العربي - الإسرائيلي قد تحول، بعد خروج مصر منه بإقامة سلام مع إسرائيل، وبعد انفصال العراق عن هذا الصراع عملياً منذ سنة 1980 جراء تورطه في حربين متعاقبتين في الخليج، إلى صراع سوري - إسرائيلي. ذلك بأن الأردن حافظ، على الدوام، على سلام واقعي مع إسرائيل، انتهى بمعاهدة للسلام سنة 1994.

أما بالنسبة إلى المشكلة الفلسطينية التي كانت دوماً محور ذلك الصراع، فإن المؤلف يرى أن الفلسطينيين لم يشكّلوا إلا تحدياً سياسياً لإسرائيل، ولم يشكّلوا قط تحدياً عسكرياً. كما أن عداءهم ضعف كثيراً منذ اعتراف المنظمة بإسرائيل سنة 1988، وتوقيع اتفاق أوسلو سنة 1993 واتفاق القاهرة سنة 1994. وحدها سورية هي التي أظهرت عداءً عقائدياً وسياسياً للكيان اليهودي منذ العشرينات، وشكّلت تهديداً أمنياً منذ سنة 1948.

وجاءت حرب 1967 لتزيد في حدة الصراع بين الدولتين. وعمقت حرب 1973 بدورها العداء المتبادل.

كذلك يرى المؤلف أن القيادة السورية بدأت، منذ سنة 1988، منح الأولوية للدبلوماسية بدلاً من الاستراتيجية العسكرية، ساعية للتقارب مع مصر والولايات

المتحدة. ولأول مرة بدت سورية مستعدة، بدعم أميركي، لصنع السلام مع إسرائيل في مقابل الانسحاب من الجولان. لكن سورية واصلت بناء ترسانتها العسكرية، كما واصلت صلاتها بإيران وبحزب الله وبالمنظمات الفلسطينية، وكلها قوى معارضة للسلام، وذلك - كما يقول المؤلف - بهدف التفاوض من مركز قوة، أو لتخريب عملية السلام في حال إسقاط سورية من الحسابات السلمية.

يهدف هذا الكتاب إلى تتبع وتحليل العلاقات السورية - الإسرائيلية منذ سنة

1948 حتى أوائل سنة 1995، عندما دخلت مفاوضات السلام طوراً حاسماً. كما

يشرح العوامل التي تأثرت بها تلك العلاقات الإقليمية والدولية، وكذلك تأثير السياسات الداخلية لدى الطرفين في طبيعة تلك العلاقات. ويتوقف بصورة خاصة عند المشكلة اللبنانية، والمشكلة الفلسطينية، وتأثيرهما المباشر كعوامل شد وجذب. ومن المسائل الرئيسية التي يناقشها الكتاب التطورات السياسية التي مرت سورية بها في ظل حكم حزب البعث، والمفاهيم الأيديولوجية لهذا الحزب. كما يناقش المفاهيم التي بلورتها القيادة السياسية السورية، وخصوصاً في عهد الرئيس حافظ الأسد، طوال فترة حكمها. ومن الواضح هنا أن المؤلف يخاطب الجمهور الإسرائيلي المثقف والمعني بالقضايا السياسية. وهنا يثبت المؤلف أنه، شأن نظيره الأكاديمي الإسرائيلي المعروف إيتمار رابينوفيتش، على دراية واسعة بتاريخ سورية المعاصر وأوضاعها السياسية. ويتجلى لنا ذلك، بصورة خاصة، عندما يتناول التحولات السياسية والاستراتيجية العسكرية السورية تجاه إسرائيل، مع إبراز نظرة الرئيس الأسد إلى مسألة التوازن الاستراتيجي وارتباط ذلك بالعلاقة بين دمشق والعالم العربي.

ويسهب المؤلف، وخصوصاً في الأبواب الثلاثة الأخيرة، في مناقشة التحول الذي طرأ على الموقف السوري تجاه عملية السلام، وعوامل هذا التحول. فيقول معون، مثلاً، في الباب العاشر (ص 204): "لم يكن أمام الأسد بديل عن الدعم الأميركي منذ أن بدأ الاتحاد السوفياتي، إثر حكم غورباتشيف، يحثه على السعي لتحقيق تسوية سياسية للصراع العربي - الإسرائيلي. ورغم أن دمشق ظلت تعتبر الاتحاد السوفيات حليفاً استراتيجياً إلا إنها أصبحت تميل أكثر فأكثر نحو واشنطن، خصوصاً بعد تولي جورج بوش، عام 1989، مهام الرئاسة. وقد شجع سورية على هذا التقرب انتخاب

بوش بدون دعم الأصوات اليهودية الأميركية، مما جعل دمشق تتوقع أن تتخلى الولايات المتحدة، كقوة عظمى مسؤولة عن الأمن والسلام العالمي، عن النظرة الصهيونية وتضع حداً للخطر الصهيوني...".

ويعتقد معوز أن صدام حسين، من خلال غزوه الكويت سنة 1990، أعطى الرئيس الأسد فرصة نادرة لتطوير علاقاته ببوش ولتحسين وضع بلده الإقليمي والدولي. "لقد هيا لسورية أن تكون حليفة للولايات المتحدة خلال الحرب ضد العراق". ويضيف معوز أن مكاسب الرئيس الأسد الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية كانت كبيرة ولا شك (ص 209).

كما يرى معوز أن القيادة السورية باتت مستعدة في تلك الفترة، أي في سنة 1991، لقبول معايير أميركية للسلام كانت ترفضها من قبل، مثل: المفاوضات المباشرة مع إسرائيل، والقبول برعاية أميركية - سوفياتية لمؤتمر السلام بدلاً من رعاية الأمم المتحدة. ويعترف معوز بأن المواقف الإسرائيلية إزاء المرونة السورية ظلت متصلبة، سواء في عهد حكومة الليكود (شمير)، أو في بداية حكم حزب العمل (رابين). ولم يظهر بعض المرونة الإسرائيلية إلا سنة 1991، لكن المواقف الإسرائيلية إزاء قضية الانسحاب من الجولان ظلت غامضة.

وبينما كان المؤلف يتابع خطوة خطوة تطورات الموقف السوري تجاه عملية السلام، وصولاً إلى مدريد، ثم الشروع في المفاوضات المباشرة، كان يتابع في الوقت نفسه تطورات الموقف الإسرائيلي تجاه اتخاذ مواقف أقل تصلباً وأكثر مرونة. فرابين، الذي كان يخاطب سورية بلغة التهديد والوعيد في أوائل سنة 1991، تحول في أواخر السنة نفسها إلى لغة السياسة والحوار، والحديث عن إمكان محدود لإجراء تسوية إقليمية.

استمرت سورية في إرسال إشارات إيجابية إلى حكومة رابين، وهي إشارات قابلتها حكومة رابين بإشارات مماثلة. ويطلق المؤلف على هذه المرحلة من مراحل سنة 1992 اسم "الحوار غير المباشر بين الأسد وراابين". إلا أن الفجوة بين الجانبين ظلت واسعة على الرغم من استمرار المفاوضات.

ويتابع المؤلف في البابين الأخيرين تطور عملية المفاوضات بين الجانبين إلى أن أوقفها بيرس على النحو المعروف استعداداً للانتخابات المبكرة في أيار/ مايو 1996. والواقع، إن التغطية الشاملة التي قدمها إيتمار رابينوفيتش، رئيس الوفد الإسرائيلي المفاوض في الفترة 1992 – 1996، في كتابه المعروف "حافة السلام: تاريخ الفرص الضائعة"، كانت أعمق تحليلاً وأكثر تفصيلاً مما قدمه معوز بإيجاز، وإن كان الباحثان توصلا إلى النتيجة ذاتها، وكانا على درجة كبيرة من الموضوعية والدقة في التحليل.

أخيراً، لا بد من التنويه بجهود المترجمة لنا وهيب التي زاوجت ما بين الحس السياسي الجيد والأمانة العلمية في الترجمة.

هشام الدجاني

كاتب فلسطيني

مقيم بدمشق

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>